الباب الأول

النسيج الإسلامى فى العصر العثمانى

الفصل الأول : تاريخ النسيج قبل العصر العثمانى

الفصل الثانى : تاريخ النسيج فى العصر العثمانى

من المعروف أن أقدم المنسوجات الفنية المزخرفة هو نسيج القباطى (tapestry) وإذا تتبعنا نشأة هذا النوع من النسيج (القباطى) تبين لنا أنه وجد فى مصر منذ العصر الفرعونى ، واستمر خلال عصورها التاريخية وبدون انقطاع وفى تطور مستمر إلى العصر القبطى ، فالعصر الإسلامى ، وإلى الآن يستخدم فى صناعة الأكلمة . ولذلك يمكننا القول بأن نسيج القباطى مصرى من حيث النشأة والفكرة والوسيلة ، ومن هنا حق للعرب إطلاق كلمة (قباطى) عليه . إذ أن كلمة (gyptus) معناها مصر باللغة الإغريقية .

وقد انتشرت صناعة القباطى فى معظم بلاد الشرق الأوسط وخاصة فى إيران .

ومنذ القرن السادس عشر ، أقبلت إيران وتركيا على إنتاج منسوجات القباطى عندما كانت أوروبا تنتجه بأسماء مستعارة (جوبلان) و (أبيسون) . وفى الحقيقة أن كلمة (جوبلان) هو اسم لمصانع فرنسية اشتهرت بنسيج القباطى ، أنشأها فى أول الأمر (جيل وجين جوبلان) (Gill and Gean Goblin) فى باريس سنة ١٤٥٠ كمصانع للصباغة ثم استعملت بعد ذلك فى نسج القباطى فى القرن السابع عشر سنة ١٦٦٢ حين اشترى هذه المصانع (Colbert) وزير لويس الرابع عشر ، لحساب الحكومة ، وهذه المصانع بقيت تحت إشراف الدولة ، تنتج نسيج القباطى ذا المناظر التصويرية .

أما نسيج الأبيسون (aubisson) فأخذ اسمه من مدينة أبيسون إحدى ضواحى باريس ، وقد اشتهرت بنسيج القباطى ذى المناظر التصويرية منذ القرن الخامس عشر .

ومن المنسوجات التى انتشرت فى القرن السابع الهجرى الزردخان ، والزردخان كلمة فارسية معناها دار السلاح .

على أن الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر ترى أنه لعل السبب فى اتخاذه اسماً لهذه المنسوجات أن الدروع المتخذة من الزرد المانع وغيرها من الأسلحة وكانت تغطى بطبقة من نسيج سميك مزركش من الحرير الأصفر والأحمر وغير ذلك .

كما عرفت العصور الوسطى نسيج الديباج الذى يعرف بالإنجليزية (brocade) وبالفرنسية (brocate) وإذا بحثنا فى المعاجم اللغوية نجد أن الديباج من الدبج ، وهو النقش والتزين وقيل الديباج هو النمط ، وقيل هو الرفرف أى الثوب الرقيق حسن الصنعة ، وجاء أيضاً أن الديباج ضرب من الثياب الخضر تبسط . وجاء فى وصف الحرير الاستبرق ما خشن من الديباج ، وما رق من الحرير فهو ديباج ، والسندس نوع رقيق من الديباج . أما فى دائرة المعارف فجاء فيها : الديباج نسيج من الحرير مختلف الأجناس استعمل كثيراً فى العصور الوسطى فى الشرق .

ومن الناحية التطبيقية يعتبر الديباج من مشتقات نسيج الدمشقى ، ومن الناحية الزخرفية من المنسوجات المزركشة والموشاة بخيوط الذهب والفضة . ويستعمل فى نسيج الديباج سداة واحدة وأكثر من لون واحد من اللحمة للزخرفة ، وغالباً تستعمل معها خيوط معدنية كالذهب والفضة والنحاس المذهب ، وجميعها تظهر فقط فى أجزاء الزخرفة ثم تختفى فى ظهر المنسوج . أما الأرضية فتتكون غالباً من خيوط السدى ، وكثيراً ما تكون بنسيج الأطلس (Satin) ، ولذلك فإن هذه المنسوجات تستعمل من وجه واحد نظراً لاختلاط ألوان اللحمة بعضها مع بعض فى الوجه الآخر منها .

ومن المنسوجات المركبة نسيج ينسب إلى مدينة دمشق التى اشتهرت بنسجه فنسب إليها . وتحدث الزخرفة بهذا النوع من المنسوجات عن طريق استعمال أطلس من السداة أى إظهار أكبر عدد من خيوط السداة فى أجزاء الأرضية لإخفاء خيوط اللحمة تحتها ، ثم أطلس من اللحمة فى أجزاء الزخرفة لتختفى خيوط السداة تحت ذلك بإظهار أكبر قدر ممكن من اللحمة فى أجزاء الزخرفة وبالعكس فى الوجه الآخر من المنسوج .

ومن أهم مميزات هذا النسيج (الدمشقى) أن حدود الزخرفة الناتجة على سطحى المنسوج واضحة التدرج وذلك نظراً لتحريك الخيوط على هيئة مجموعات .

أما منسوجات القطيفة فهى تختلف بوجه عام عن المنسوجات العادية ، فتعتبر منسوجات القطيفة من المنسوجات الوبرية ، فمن حيث مظهرها يوجد بروز

ويرى الشكل على سطحها نتيجة إضافة خيوط خاصة من خيوط السدى أو اللحمة فتظهر بارتفاع معين على سطح أو سطحى المنسوج الوبرى وذلك حسب الغرض من الاستعمال .

وهذا البروز يعرف باسم الوبرة التى قد تكون مستديرة الشكل على هيئة حلقات كما فى أقمشة (الفوط والبشاكير والبرانس المستعملة للاستحمام وتستخدم للتجفيف) أو مقطوعة الأطراف كمنسوجات القطيفة المستعملة فى الفرش وبعض ملابس السيدات .

وكانت زخارف المنسوجات الوبرية فى العصور القديمة قاصرة على الزخارف الهندسية البحتة ، وهناك بعض القطع عليها رسوم آدمية وحيوانية رسمت بطريقة هندسية .

وفى أوائل العصر الإسلامى اختفت تقريباً المنسوجات الوبرية ، فلم يعثر على قطع لها قيمتها الفنية ترجع إلى هذه الفترة ، وإن كانت اسم منسوجات القطيفة أو المنسوجات الوبرية قد تردد كثيراً فى مراجع العصور الوسطى ، وقد كثرت صناعة المنسوجات الحريرية وهذا لوفرة المادة الخام ورخص ثمنها ، وقد بدأنا نسمع عن منسوجات القطيفة خاصة فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) فى إيران وتركيا ، وكانت المنسوجات الوبرية من الحرير فى معظم الحالات ، ونادراً ما نجدها من القطن الذى كان يستعمل فى الزخارف البيض ، الناصعة .

على أن منسوجات القطيفة فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) أصبحت تحتوى على زخارف نباتية قريبة من الطبيعة إلى حد كبير وذلك لأن الوبرة أصبحت قصيرة فلم تطغ على الرسم .

الفصل الأول
تاريخ النسيج قبل العصر العثمانى

تعتبر صناعة النسيج فى الوقت الحاضر من أهم الصناعات ، كما أنها تعتبر فى نفس الوقت من أقدم الصناعات التى عرفها الإنسان ، فقد اشتهر المصريون القدماء بدقتهم فى صناعة المنسوجات وخاصة الكتانية التى بلغت من الدقة ذروتها .

على أن صناعة النسيج كانت صناعة يدوية حتى أواخر القرن الثامن عشر ، ولقد حدث تطور كبير فى هذه الصناعة فى مطلع القرن التاسع عشر بسبب استخدام الآلات بدلاً من الأيدى العاملة .

وقد ذاعت شهرة مصر فى المنسوجات قبل ظهور الإسلام ولقد وصلت هذه الشهرة إلى بلاد العرب فى الجاهلية ، ولذلك نجد العرب عندما فتحوا هذه البلاد كانوا يعملون على الاستفادة منها فى هذه الناحية .

ولقد كان من تقاليد العرب وميولهم ما ساعد على تقدم صناعة النسيج على أيديهم فى العصور الوسطى ، فنجد كسوة الكعبة ، ومنح الخلع ، وميلهم الطبيعى إلى التكثير من الثياب وإلى اقتناء الفاخر منها وذلك لاعتقادهم أنها تضفى على من يلبسها قيمة وعظمة ، وكان من شأن هذه العوامل أن تمهد السبيل للوصول إلى درجة الكمال فى هذه الصناعة .

وكان منح الخلع تقليداً عرفه المصريون القدماء ، كما عرفه ملوك إيران قبل الإسلام ، وقد أحياه فى الإسلام النبى صلى الله عليه وسلم ، وسار على طريقه الخلفاء من بعده ، ومن حيث الميل إلى التكثير واقتناء الفاخر من الملابس فقد زاد عند العرب على أثر تدفق الثروة بين أيديهم من الأقطار التى فتحوها ، فأقبلوا على المنسوجات يسرفون فى اقتنائها ، ويحملون النساج على التسابق فى إجادة نسجها ، وابتداع الأنواع المختلفة منها .

وكانت الأقمشة من السلع التى تفضل عند الإهداء فى المناسبات المختلفة قبل

الإسلام وبعده . فيقول المسعودى فى مروج الذهب أن ملك الصين أهدى إلى كسرى أنوشروان ثوباً حريرياً فيه صورة الملك جالساً فى إيوانه ، الصورة منسوجة بالذهب وأرض الثوب لازورود .

وأهدى ملك الروم إلى ابرويز عدة أشياء من بينها ألف ثوب من الديباج الخزائنى المنسوج بالذهب الأحمر وغيره من الألوان .

وكانت المنسوجات أيضاً يتصدق بها الخلفاء والأمراء والأغنياء على المحتاجين فى المواسم والأعياد ، وكانت لها مكانة ممتازة بين صادرات البلاد الإسلامية .

وقد كانت صناعة النسيج فى الدلتا صناعة منزلية ، فكان النساء يغزلن والرجال ينسجون ، وكان تجار القماش يدفعون لهم أجرهم كل يوم ولم يكن فى وسعهم أن يبيعوا منسوجاتهم إلا للسماسرة الذين تعينهم الحكومة ، وكانت أجرة النساج فى أوائل القرن الثالث الهجرى نصف درهم كل يوم .

وقد كانت تجارة المنسوجات الخارجية تحت رقابة شديدة ، تكاد تكون محتكرة من الحكومة .

ولم تكن دبيق وحدها المركز الهام لصناعة المنسوجات فى مصر فى هذا العصر ، بل كانت هناك أخرى منتشرة فى البلاد لا تقل أهمية عن دبيق إن لم تفقها ، منها على سبيل المثال كما وردت فى كتب الرحالة العرب ، فاليعقوبى (٢٨٢ هـ) ذكر أسيوط وأهناس والبهنسا وبورة وتنيس وشطا والفيوم والقيس وأخميم ، وابن حوقل (٣٣١ هـ) أضاف إلى ما تقدم طما ودميرة وتونة ودبيق والأشمونين وكرر ذكر البهنسا وشطا وتنيس . وكرر الهمذانى (٣٣٤ هـ) ذكر تنيس ودبيق وشطا وأضاف الإسكندرية . وذكر الأصطخرى (٣٤٠ هـ) الأشمونين ودمياط .

ولم يحدث فتح العرب لمصر تغييراً يذكر فى حياة القبط ، وقد كان هؤلاء صناعاً مهرة استخدمهم العرب فى العمل بمصانع النسيج الجديدة التى أنشأها العرب وهى المسماة بدور الطراز ، وكلمة "طراز" أطلقت على الشريط المحتوى على كتابة منسوجة أو مطرزة ، وأطلقت أيضاً على الأقمشة المزخرفة بهذه الطريقة ، وأيضاً على المصانع التى تنتج هذه الأقمشة ، وكان لإنشاء دور الطراز فى جميع البلاد الإسلامية

أهمية كبرى عند حكام العصرين الأموى والعباسى ، ولقد جرت عادة الخلفاء خلع هذه الثياب على كبار أصحاب الوظائف مرة كل سنة على الأقل ، واعتبرت هذه الخلع بمثابة الأوسمة والنياشين فى العصور الحديثة ، وقد كان ينقش إسم الخليفة فى شريط "الطراز" تسجيلاً لحكمه وسلطانه .

علماً بأن الطراز كلمة إيرانية معربة . وكان من عادة ملوك إيران قبل الإسلام أن يزينوا ملابسهم بصور الملوك ، وبأشكال معينة تمييزاً لها عن غيرها ، وإشعاراً لمن يلبسها بالجاه والسلطان ، وكانوا يخلعون هذه الثياب على حاشيتهم ومن يرضون عنهم .

وقد ورث المسلمون عنهم هذه العادة ، وأول من نقل الطراز إلى العربية من ملوك المسلمين عبد الملك بن مروان الأموى ، ولكن بدلاً من استخدام الصور كتبوا أسماء خلفائهم مصحوبة بصيغة خاصة من صيغ الدعاء أو المدح ، وقد كانت هذه الكتابة تنسج أو تطرز بخيوط من الذهب أو الفضة أو الحرير بلون مخالف للون الثوب ، وقد اتخذ الخلفاء ذلك حقاً لهم وحدهم اختصوا به أنفسهم دون غيرهم ، واعتبروه من علامات سلطانهم ، واعتنوا به عناية خاصة فأنشأوا فى قصورهم مناسج حكومية وأطلقوا عليها إسم دور الطراز .

ولقد ذاعت شهرة دور الطراز فى مصر بما أنتجته من المنسوجات الكتانية والحريرية التى صدرت منها فى العهد الإسلامى إلى البلاد الإسلامية كسوريا والعراق . ووجدت بسامراء قطعة نسيج كتانية من القرن التاسع عشر عليها كتابة مطرزة بالحرير الأحمر تدل على أنها صنعت بمدينة تنيس .

ولقد ورث العصر الأيوبى والمملوكى عن العصر الفاطمى أساليب صناعة الأقمشة ذات الزخارف المنسوجة ولكنها كانت أقل شيوعاً عن العصر الفاطمى .

على أن أقمشة العصر الأيوبى والمملوكى المطرزة كانت أكثر بساطة إذا ما قورنت بأقمشة العصر الفاطمى المطرزة بخيوط الذهب والحرير المختلف الألوان .

ومما هو جدير بالذكر أنه ليس أدل على قوة وحيوية الفن الإسلامى وعظمة

شخصيته من متابعة ابتكاراته التى شملت جميع الفنون وجميع النواحى وجميع العصور . ومن العسير حقاً أن نحصر مميزات هذه الفنون الإسلامية . فقد امتاز كل عصر من العصور بأشكال زخرفية خاصة ، بل أن التطور والابتكار لم يقتصرا على عهد معين ، أو إقليم خاص ، فقد كان لكل فنان شخصيته التى تميزه عن غيره ، وكان لمنتجاته خصائص ينفرد بها .

الفصل الثانى
تاريخ النسيج فى العصر العثمانى

ازدهرت صناعة النسيج فى الامبراطورية العثمانية ، وكان أهم منتجاتها الديباج والمخمل (القطيفة) ومعظم هذه المنتجات كان فيما بين القرنين العاشر والثانى عشر بعد الهجرة (١٦ - ١٨م) ، وأكثر ما وصلنا من المنسوجات العثمانية هو من الوشى والمخمل .

والمقصود بكلمة الفن التركى فى هذا المجال هو المنتجات الفنية المصنوعة فى أجزاء آسيا الصغرى ومناطق البلقان التى كانت تكوّن جزءاً من الممتلكات العثمانية التركية ومنها الأقمشة المنسوجة من الحرير والقطيفة التى كانت تنتجها هذه الأقطار لاستعمال أفراد الهيئة الحاكمة ، والتى يراعى فيها ذوق الأتراك ومزاجهم الخاص .

على أن الفن التركى والذى ظهر أول ما ظهر فى القرن الخامس عشر وتطور خلال الحكم الأخير للسلاطين العثمانيين والذى قام على قواعد مستقلة مما جعله يتأثر من وقت لآخر بآخر الأساليب الشرقية والأوروبية ينعكس تماماً فى طريقة بناء المساجد والمبانى فى اسطنبول وبروسة إبتداء من أواخر القرن الخامس عشر وما بعده ، وكان من الواضح أن مثل هذه المبانى كانت عرضة لأن يعاد زخرفتها من وقت لآخر . مما قد يدعو إلى الاعتقاد بأنه فى عام ١٤٥٠ وبواسطة الدفعة التى أعطاها محمد الأول قد ارتفع بالفن التركى الذى ظهر أثره واضحاً على الملابس التركية من القطيفة المطرزة أو الحرير الفاخر . والفنان جنتايل بللينى (Gentile Bellini) (١٤٣٠ - ١٥٠٧) والذى قضى عدة سنوات باسطنبول والذى رسم الصورة الشخصية لمحمد الثانى قد أضاف إلى صورة القديس مارك الذى كان يعظ بالإسكندرية والموجودة بميلان (Milan) صورة لرجلين يرتديان جلبابين يحملان تطريزات تركية ، وهناك صورة شخصية أخرى فى جنوا لباريس بوردون (Paris Bordon) (١٥٠٠ - ١٥٧١) تصور امرأة تلبس رداءاً من قماش الحرير التركى المطرز تشبه إلى حد كبير تلك التى ترى على اللوحة (رقم ١) .

ويعرض بنتاركهيو (Pinturicchio) من أواخر القرن الخامس عشر بصالة بورجيا (Borgia) بالفاتيكان منظراً لمعركة سانت كاترين صورة لرجلين يرتديان ملابس شرقية مطرزة بأنواع مختلفة من الزهور والثمار .

ورداء (مارية) (مانجوب) التى توفيت عام ١٤٧٦م وغطاء القبر الموجود بدير بتينا (Putna) يشبه زخارف النسيج الحريرى والقطيفة فى لوحة (رقم ١ ، رقم ٢) والتى يرجع تاريخها إلى أواخر القرن السادس عشر .

كما أن غطاء قبر الأمير جيرميا موفيلا (Jeremiah Movila) الموجود بدير سيسيفيتزا والذى يحمل تاريخ ١٦٠٦ يظهر مرتدياً رداءاً مطرزاً بتطريز تركى يشبه الحرير الذى كان موجوداً فى القرن التاسع عشر .

وهناك بعض قطع يمكن نسبتها إلى القرن التاسع الهجرى (١٥م) ويبدو ذلك واضحاً إذا ما قارنا هذه القطع برسوم أزياء الأشخاص فى المصورات الإيطالية المعاصرة فزخارفها تشبه زخارف المنسوجات التركية فى ملابس الأشخاص المصورين فى اللوحات الفنية الإيطالية التى ترجع إلى هذا القرن ولاسيما رسوم الفنان جنتايل بللينى .

وكانت بروسة وهى العاصمة الأولى للأتراك العثمانيين ، المركز الرئيسى لصناعة النسيج فى تركيا ، على أن هذا لم يمنع قيام تلك الصناعة بجهات أخرى من آسيا الصغرى مثل إسكدار وهركة اللتين اشتهرتا بمنسوجاتهما الرفيعة .

وامتازت المنسوجات التركية بالموضوعات الزخرفية ولم يكن فى رسومها التنوع الذى عرفناه فى رسم المنسوجات الإيرانية ، بل أقبل النساجون على رسوم الزهور كالقرنفل والخزامى والسوسن والورد وما إلى ذلك مما نجده أيضاً على الخزف والقاشانى الذى كان يصنع حينئذ فى تركيا وسوريا ، ولاسيما فى مدينة أزنيق لوحة (رقم ٣) .

وكان قصب السبق فى إنتاج المخمل معقوداً لمدينة بروسة لوحة (رقم ٤) وأقبل النساجون فيها على الإبداع فى ترتيب رسوم الزهور والنباتات فى شتى الأوضاع وفى مختلف الجامات والمناطق ، كما استعملوا زخارف على هيئة المروحة

وأخرى على شكل دائرة تضم رسم هلال تحف به زخرفة متعرجة تشبه رسم السحب الصينية .

ومما لاشك فيه أن الديباج التركى من أبدع ما أخرجته مصانع النسيج فى العالم الإسلامى ، ولعل أكثر الموضوعات الزخرفية إنتشاراً فيه المناطق البيضية الشكل المملوءة برسوم الزهور المختلفة .

علماً بأن فن جيرانهم الإيطاليين فى الغرب وفن جيرانهم الإيرانيين فى الشرق قد ساهم كثيراً فى تكوين الرسومات التركية على القماش .

وعلى الرغم من تأثر الفن التركى بالفنين الإيرانى والإيطالى ، إلا أنه أوجد لنفسه أسلوباً خاصاً به يتجلى بوضوح فيما وصلنا من الأوانى الخزفية التى صنعت بمدينة أزنيق .

ولا تختلف رسوم الوشى والمخمل التركى عن مثيلاتها من المنسوجات الإيرانية، إلا فى اقتصار الزخرفة على المنسوجات التركية على أشكال الزهور ، وتجنب الفنانون رسوم الكائنات الحية إستجابة إلى الأحاديث المنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم الخاصة بتحريمها .

ولقد كانت الرسومات على المنسوجات التركية يغلب عليها الطابع الزهرى بعكس الإيرانيين الذين يميلون إلى عرض صور الأدميين والحيوانات وفق أغراضهم الشخصية الفنية المباحة . ونادراً ما كنا نكتشف فى الفن التركى الألوان الزهرية الطبيعية المدهشة . كما أن ألوان الأقمشة التركية قليلة وينقصها الظلال الناعمة التى نجدها فى الفن الإيرانى . وكان اللون الأحمر هو اللون المناسب للأرضية، ولكن كثيراً ما نشاهد أرضيات أزرق أو أخضر ، والأرضيات الذهبية والفضية كانت مستعملة أيضاً .

والملاحظ أن النساجين الترك نقلوا فى موضوعاتهم الزخرفية كثيراً من العناصر الزخرفية الإيرانية ولاسيما الرسوم النباتية والمراوح النخيلية (بالميت) ، كما نقلوا من المنسوجات الإيطالية ولاسيما المخمل المصنوع فى البندقية ، رسوم الرمان وبعض العناصر الزخرفية التى سادت هناك فى القرن الخامس عشر الميلادى . ولا عجب فقد

كانت المنسوجات الإيرانية والإيطالية كثيرة فى تركيا فضلاً عن أن السلاطين العثمانيين استقدموا الفنانين الإيرانيين من إيران وألحقوهم بخدمة البلاط وشجعوا كثيراً منهم على النهضة بصناعة النسيج .

وقد كانت هناك حروب تذكر بين تركيا وإيران فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر مع تقلبات كثيرة فى احتلال تبريز بواسطة سليم الأول عام ١٥١٤ ، وقد نقل من هذه المدينة إلى اسطنبول ألف من الفنيين المهرة ، وقد كانت هناك حملة إيرانية إلى العاصمة التركية عام ١٥٦٠ وأخرى عام ١٥٧٩ وكل هذه الأحداث ساعدت كثيراً فى ازدياد وترقية الطابع الإيرانى وذلك بالنسبة للأتراك .

أما من جهة تأثرهم بالإيطاليين فإن الإنسان يكاد يحكم من أول وهلة على المخمل المصنوع من بروسة أنه إيطالى ، غير أنه من السهل التفريق بينهما اعتماداً على وضوح أشكال العناصر الزخرفية التركية ومن كونها أقل اتقاناً من حيث أسلوب صناعتها عن الإيطالية .

وكانت المنسوجات ذات الموضوعات الزخرفية الكبيرة المساحة تستعمل فى الستائر والأغطية ، بينما كانت سائر الأقمشة تستعمل فى الملابس القيمة فى جميع أنحاء الامبراطورية العثمانية .

وبمتحف المتروبوليتان مجموعة كبيرة كاملة من الأقمشة المخملية التركية ورسومها كبيرة وقوية بوجه عام إذا ما قورنت بالأقمشة التركية الموشاه ، وغالباً ما استخدمت فى عمل الستائر وتغطية الحشيات . والأقمشة المخملية التركية فى القرن السادس عشر ، ذات أرضية حمراء وتشغلها الزخارف المذهبة التى تضاف إليها خيوط الفضة أحياناً . ونرى الجمع بين الموضوعات الإيطالية والتركية فى قطعة كبيرة من المخمل لوحة (رقم ٥) ، محفوظة بمتحف المتروبوليتان ، وتزينها وحدات متكررة من كيزان الصنوبر والأوراق الرمحية المدببة التى تكسوها فروع دقيقة من أزهار القرنفل والورد والسنبل البرى .

على أن يتضح من مجموعة أغطية الحشيات المخملية التى وصلتنا من القرن السابع عشر وما تلاه حتى القرن التاسع عشر مدى التدهور التدريجى فى أسلوب الرسم

وطريقة الصناعة . ويعتبر ما أنتجته تركيا من الأقمشة الموشاه فى القرنين السادس عشر والسابع عشر من أحسن ما أنتج من هذا النوع فى الشرق ، ولم تبلغ هذه الأقمشة مبلغ الأقمشة الإيرانية المعاصرة فى بهجة ألوانها ، ولكنها لا تقل عنها من حيث جمال الزخرفة وحسن الصنعة بل أنها قد تفوقها فى بعض الأحيان . وتعتبر الأشكال البيضاوية المدببة من أشهر العناصر الزخرفية التى تزين الأقمشة التركية الموشاة - والتى تعد من خصائص الأسلوب التركى - وهى تكون مناطق تحصر داخلها فروعاً من أزهار القرنفل والسنبل البرى والورد وقرن الغزال وبعض الأزهار الأخرى . أما الألوان التى تسود تلك الأقمشة فلا تخرج عن لونين أو ثلاثة مثل الذهبى والأحمر فقط أو الأزرق والأحمر والذهبى . وغالباً ما تكون الأرضية حمراء ، كما تكون أحياناً باللون الأزرق أو الأخضر أو الأرجوانى .

أما طراز الأقمشة الموشاة فلا يختلف عن الأقمشة المخملية ، إلا أن رسوم الأولى أكثر رشاقة ودقة ، وترجع الأقمشة المتأثرة برسوم الأقمشة الإيطالية والمزدانة بثمر الرمان إلى القرن السادس عشر . واستخدمت أكثر الأقمشة الموشاة فى عمل الملابس ويوجد منها عدد وفير بمتحف اسطنبول والمتاحف العالمية الأخرى . ويمتحف المتروبوليتان سترة كاملة موشاة بالذهب لوحة (رقم ٦) وهى غنية بزخارفها ذات الألوان الحمراء والزرقاء والخضراء التى ترجع إلى القرن السادس عشر .

على أنه يظهر فى رسوم القرن السابع عشر اتجاه الفنان نحو الواقعية ومحاكاة الطبيعة فى رسم الزهور المختلفة ، كما حلت محل الأشكال الهندسية فى معظم الأحيان سيقان نباتية تخرج منها البراعم المختلفة لوحة (رقم ٧) .

على أن جمهورية البندقية والتى تعتبر منذ عدة قرون من أعظم القوى فى البحر الأبيض المتوسط وكانت فى وقت من الأوقات تقوم بأعمال تجارية واسعة مع الأتراك كما أنها كانت على الدوام فى حرب معهم . كما أن جمهورية جنوا والولايات البحرية الإيطالية مثل أمالفى وبيزا (Amalfi and Pisa) كانت أيضاً تتجر معهم . ولقد احتلت البندقية قبرص وكريت بينما استقر تجار جنوا فى مالطة إحدى ضواحى اسطنبول لأكثر من قرنين وكانوا متسلطين فى شيوس ، على أن العلاقات التجارية بين هذه

الولايات والأتراك جعلت الأتراك على معرفة بالأقمشة المنسوجة والمستعملة فى إيطاليا ونماذج هذه الأقمشة الإيطالية كانت عادة ما تكون مستمدة رأساً من وحيهم مالم تكن قلدت من رسومات الشرق الأوسط ، على أن الغزالين فى الممتلكات العثمانية يمكنهم أن يعملوا بأجور منخفضة عن الأجور التى يتقاضاها الصناع الإيطاليون ، كما أنهم قاموا بالبحث عن أسواق كبيرة لتوزيع بضائعهم وذلك بإدخال التعديلات على رسوماتهم لجعلها ملائمة للذوق الإيطالى وهذا قد تم بمهارة فائقة لدرجة أن الشك كثيراً ما كان يساور مشترى القماش عما إذا كان هذا القماش من صناعة تركية أم من صناعة إيطالية . فعلى سبيل المثال القطيفة (٣٢٦ - ١٨٩٥) بالرغم من أن رسوماتها إيطالية إلا أنها من الفن التركى .

وهناك نوع مهم من المنسوجات التركية تحتوى على زخارف مطرزة لموضوعات دينية وهذه الأقمشة كانت تصنع لتستخدم كغطاءات لمقابر السلاطين والأتقياء من المسلمين . وفى كثير من النماذج كانت الزخارف محصورة فى أشرطة أفقية ورأسية أو منعرجة داخل خراطيش دائرية أو على شكل أوراق الأشجار . وتوجد أيضاً أقمشة من الحرير عليها كتابات فى أشرطة ، وتشمل كتاباتها بعض الآيات القرآنية أو العبارات المألوفة فى الدين الإسلامى كالشهادتين أو أسماء الخلفاء الراشدين أو "الله ربى ولا سواه ، محمد حبيب الله" أو بعض الأحاديث النبوية المشهورة . واللوحة رقم (٨) توضح قطعة من النسيج العثمانى من هذا الطراز فى القرن الحادى عشر أو الثانى عشر بعد الهجرة (١٧ - ١٨م) . وهناك كتابات مختلفة وواضحة وهى "لا إله إلا الله محمد رسول الله" انظر اللوحة (رقم ٩) .

وهناك نوع آخر من الحرير المنقوش يحتوى على رايات حربية كبيرة من الحرير الأخضر والذى يحمل زخارف مناسبة أو اقتباسات من القرآن وفى الوسط تصوير لسيفين ذى حافتين ولهما مقبضان متقنا الصنع ويتكونان من تنينين وهذا يمكن أن يكون المقصود به تمثيل سيف عثمان والذى كان محفوظاً بمدينة إياب ومرتبط بجلوس كل سلطان ونصل السيف عادة يحمل نقش مثل "باسم الله الشفيق الرحيم والذى نحن حقاً ظفرنا به" ، وهناك قطعتان من مثل هذه الرايات فى متحف ڤكتوريا وألبرت ، هذا

بالإضافة إلى الحرير المنقوش .

وكان مألوفاً لدى الأتراك أن يضعوا فوق مقابر السلاطين ملابس زوجاتهم وأطفالهم التى عادة ما تكون من الحرير المنسوج والقطيفة . ومن المحتمل أن يضعوا كذلك الملابس معظمها للبالغين والأطفال ، وعدد كبير منها لا يزال بوضوح وبمقتضى العلامات التى تظهر كيف كانت هذه الملابس الكبير منها والصغير توضع الواحد منها فوق الآخر فوق هذه المقابر .